**ثالثا: ابستيمولوجية "كارل بوبر" ونظرته للمجتمع المفتوح.**

* **مولد ونشأة كارل بوبر**

كارل بوبر فيلسوف نمساوي، وعالم منطق واجتماع، عاصر تطورات علمية ومعرفية وسياسية كبرى، منها: النظرية النسبية ونتائجها الثورية، الماركسية واشكالية تطبيقها، وانتشار الفرويدية فضلا عن الحربين العالميتين الأولى والثانية، شغل منصب محاضر للفلسفة في جامعة كنتربري في نيوزيلندا ما بين 1937 و1945، كما وعمل محاضرا للمنطق بجامعة لندن ما بين 1945 و1949، وأستاذا للمنطق ومناهج العلوم بمدرسة لندن للاقتصاد ما بين 1949و1969، ورئيس قسم الفلسفة والمنطق ومناهج العلوم في المدرسة الأخيرة الذكر ما بين 1945 و1966.

من أهم مؤلفاته: "مشكلتان أساسيتان لنظرية المعرفة" سنة 1932، "منطق الكشف العلمي" سنة 1934، "المجتمع المفتوح وأعداؤه" سنة 1945، "عقم المذهب التاريخي" سنة 1945، " تخمينات وتفنيدات" سنة 1963، "المعرفة الموضوعية" سنة 1972.

* **المنطلقات الفكرية لكارل بوبر.**

ركز كارل بوبر على فحص نقدي للأفكار وكان له تأثير قوي في الجماعة العلمية بدعوته العلماء إلى أن يبحثوا عن تكذيب أفكارهم أكثر من التحقق منها، واقترح وضع حد فاصل بين العلم الحق والعلم الزائف والاهتمام بسوسيولوجية العلم.

بالنسبة لبوبر، النشاط العلمي لا ينبغي أن ينطلق لا من الملاحظة، ولا من التجريب بل من صياغة فرضيات تخضع فيما بعد للتجريب الذي سيمكننا وخدة من التخلي عن البعض منها، وكل فرضية تصمد أمام الدحض إنما هي الفرضية التي يقع الاحتفاظ بها ومن وجهة النظر هذه، تظل كل نظرية افتراضية وقابلة للمراجعة، يقول كارل بوبر: "

« Les théories scientifiques, si elle ne sont pas falsifiées, restent toujours des hypothèses »

" النظريات العلمية إذا لم تفند، تبقى دائما فرضيات"

من وجهة النظر هذه يصبح الخطاب العلمي خطابا نسبيا وبالتالي قابل للتجاوز، هكذا يفرض الدحض نفسه كمنهج علمي ينبغي اعتماده لرفض النظريات اللاعلمية، وبناء عليه يمكن القول: " أن أفضل اختبار للنظرية هو البحث عما يفندها بدلا من التثبت من صحتها"، ومن وجهة النظر هذه العلم ليس انعكاسا بل هو قراءة للواقع تعتمد نماذج قابلة للدحض.

وذهب كارل بوبر إلى أن الفرض أو النظرية يمكن انقاذها دائما من مأزق التكذيب، إذا عززناها بفروض إضافية، وطبقا لبوبر يكون هذا مسموحا به فقط لو أن الفرض المساعد الجديد أو الفروض تزيد من عدد النتائج الملاحظة. ذلك لأنها ينبغي أن تزيد من المضمون الإمبريقي للنظرية، وإن لم تفعل ذلك، ينظر إلى الفرض المساعد بأنه وضع لغرض، وهو غير مسموح به طبقا للقواعد المنهجية المفضلة لدى بوبر.

* **المجتمع المفتوح عند كارل بوبر.**

يعتبر كارل بوبر في فلسفته السياسية أن الحياة عملية لا تتوقف عن حل المشاكل، لذلك كان يطالب بمجتمع يتيح وييسر حل المشاكل أيا كان نوعها، ولأن حل المشاكل منوط بقدرة الأفراد وجرأتهم على طرح اقتراحات جريئة لحلول تجريبية تقبل النقد وتتيح استئصال الخطأ فإن أفضل أشكال المجتمعات هي تلك التي تؤكد على حرية طرح الاقتراحات المتباينة ومن ثم نقدها وتصويبها، دون أن يلحق بأصحابها أذى جسدي أو معنوي.

هذا المجتمع أيضا قادر على تحقيق أهداف أفراده، وقادر على حل مشاكلهم أفضل من أي مجتمع منظم وفق أسس أخرى.

- يعتقد بوبر أن أكثر المجتمعات كفاية هي مجتمعات ذات طابع ديكتاتوري هو تصور خاطئ، كما يعتبر من جهة أخرى أن الديمقراطية لا تضفي أي مزايا على المواطن، فالديمقراطية لا توفي أكثر من مجرد اطار يمكن للمواطنين أن يعملوا داخله بطريقة منظمة ومتماسكة.

- إن السياسات التي تتبناها الحكومات ليست في حقيقة الأمر إلا مجموعة قرارات إدارية وتنفيذية تتضمن تنبؤات تجريبية، فالسياسة افتراض يجب اختباره على أرض الواقع، وتصحيحه على ضوء معطيات الخبرة، وستواجه الباحث في هذا الاختبار نوعان من الأخطاء:-

1. نوع يمكن الكشف عنه مسبقا أي قبل بلوغ مرحلة التنفيذ عن طريق الفحص النقدي والمناقشة النقدية.

2. ونوع آخر يتعذر الكشف أو التعرف عليه إلا من خلال الفحص النقدي للنتائج العلمية.

لذلك فإن "كارل بوبر" يدعو إلى اليقظة النقدية الدائمة وإلى تعزيز مطلب إمكان تصحيح البرامج والسياسات عن طريق استئصال الخطأ في أي وقت من أوقات التطبيق العملي. وعلى ذلك فالسلطات التي تعارض المناقشة النقدية المسبقة لبرامجها تحكم على نفسها بارتكاب الأخطاء بشكل مستمر، وعندما تحظر الفحص النقدي للنتائج العملية لتطبيق البرامج تحكم على نفسها باستمرار بتفاقم الأخطاء إلى أن يستفحل أمر الأخطاء ويبدأ ضرر النتائج غير المقصودة بالتأثير.

يعتبر "كارل بوبر" أن المناهج السياسية تحتاج إلى اختبار ويتم ذلك عن طريق البحث عن الوقائع التي تدحض الأطروحة السياسية التي هي قيد الاختبار، لا عن طريق البحث عن الوقائع أو الأدلة التي تؤكد أن الأطروحة قيد التطبيق تعطي النتائج المرجوة.

المنهج عند "كارل بوبر" هو منهج المحاولة والخطأ، وهكذا فبينما تبحث النظم الاستبدادية عن مؤيدات لأطروحاتها السياسية، وهو إجراء غير عقلاني يخالف المنهج العلمي، فالنظم الديمقراطية تبحث عن الأخطاء التي تدحض أطروحاتها.

المجتمع المفتوح عند "كارل بوبر" هو: " ذلك المجتمع الذي يمكن من خلاله التعبير عن آراء متعارضة والسعي لتحقيق أهداف متناقضة، مجتمع الفرد فيه حر في أن يستقصي ما يشاء من معضلات وأن يقترح ما يشاء من حلول، مجتمع الفرد فيه حر في أن يستقصي ما يشاء من معضلات وأن يقترح ما يشاء من حلول، مجتمع الفرد فيه حر أن يوجه النقد لسياسات تتبناها الحكومات، ومجتمع فيه مناهج حكومية قابلة للتغيير على ضوء معطيات النقد".

* **ماهية النظام المغلق.**

يعرف "كارل بوبر" النظام المغلق أو المجتمع المغلق أنه: " مجتمع قبلي نموذجي ثابت، تسيطر فيه المحرمات بشكل صارم على كل وجوه الحياة ويكون دور الفرد فيه مرسوما مسبقا لا يمسه التبديل".

وقد أطلق عليه توماس كوهن "الأرثوذكسية\* العلمية"، ويقسم هذا النسق البشرية إلى عوالم ثلاثة قياسا على معيارية التجربة الأوروبية الغربية حيث:-

* **العالم الأول:** هو العالم الصناعي الحديث الديمقراطي المتمثل في غرب أوروبا والو.م.أ واليابان وأستراليا والتي تسوده نظم ديمقراطية ليبرالية تعددية تنافسية.
* **العالم الثاني:** متواجد في شرق أوروبا وامتدادها في آسيا وكان يطلق عليه الاتحاد السوفياتي سابقا والنظم الاشتراكية.
* **العالم الثالث:** يمثل باقي دول العالم في النصف الجنوبي من الكرة الأرضية، وهي دول متنوعة من حيث النظام السياسي والايديولوجية، وتتمتع بنقص في الشرعية السياسية وغياب ثقة جماهيرها، تمتلك اقتصادا متخلفا وتمتاز بالفقر.